


ثنائية الحياة والآخرة ودلالاتها النفسية في الخطاب القرآني أ. حسين عمر دراوشة*، أ. عبد الكريم حسين الشرعة**

سلم البحث في ١٤٤١/١١/٣هـ  اعتمد للنشر في ١٤٤١/١٢/٦هـ

ملخص البحث:

يسعى هذا البحث إلى دراسة ثنائية الحياة والآخرة ودلالاتها النفسية في لغة الخطاب القرآني، وذلك من خلال تسليط الضوء على مفهوم الحياة والآخرة من منظور لغوي، وبيان معاني الحياة والآخرة ودلالاتها في مقامات الخطاب القرآني، والكشف عن الحياة والآخرة في البنية الأسلوبية للخطاب القرآني، وتوضيح ثنائية الحياة والآخرة في مقامات الخطاب القرآني ودلالاتها النفسية، مع التركيز على استحضار أقوال اللغويين والمفسرين وعلماء النفس، وتوضيح كل ما سبق بالمنهج الوصفي التحليلي، ومن ثم عرض لنتائج البحث وتوصياته.

Abstract:

The dual life and the Hereafter and its psychological implications in the Qur'anic discourse

This research seeks to study the dual life and the afterlife and its psychological implications in the language of the Qur'anic discourse, by shedding light on the concept of life and the Hereafter from a linguistic perspective and showing the meanings of life and the Hereafter and its implications in the meanings of the Qur'anic discourse, the revelation of life and the Hereafter in the stylistic structure of the Qur'anic discourse, And clarify the dual life and the hereafter in the premises of the Koranic discourse and psychological implications, with a focus on the evocation of the words of linguists and interpreters and psychologists, and clarify all the above descriptive analytical methodology, and then the results of the research and recommendations and a catalog of sources and references

المقدمة:

خلق الله الكون وسخره للإنسان من أجل استخلافه في الأرض لعمارتها، ورفع ذكره في أرجائها، ونشر الخير والفضيلة فيها، وجعل عَلَيْكُمْ معيار التفاضل بين الأفراد والجماعات تقوى الله وطاعته، وفتح أفق التعاون بين الحضارات، وأمر به الناس؛ ليكونوا إخوة متحابين في الله، لقوله تعالى: ﴿تَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (المائدة: ٢)، وجعل التنافس بين الناس في مجال الطاعات والتقرب إلى الله سبحانه.

* باحث ومحاضر غير متفرغ بجامعة غزة، فلسطين.

** باحث في العلوم الشرعية، من المملكة الأردنية الهاشمية.

إن طبيعة الفرد في نظرته للحياة تمسكه بها وحبها لها حباً، ينسيه يوم الميعاد وأهواله، فوضح ذلك ﷺ في قوله: «مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصَلَّاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا» (الإسراء: ١٨)، وقوله تعالى: «كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ» (القيامة: ٢٠)، وقوله تعالى: «إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا» (الإنسان: ٢٧)، فكل ما سبق كشف عن منهج رباني في ذكر ثنائية الحياة والآخرة، منهج ذو أبعاد نفسية، تسهم في تشكيل سلوك الفرد المسلم وبناء شخصيته وضبطها، وأثر ذلك على متعلقات النفس البشرية، لذا جاء البحث لدراسة ثنائية الحياة والآخرة، ودلالاتها في لغة الخطاب القرآني، وبيان أثرها على النفس البشرية، من خلال المباحث الآتية:

المبحث الأول: مفهوم الحياة والآخرة من منظور لغوي.

المبحث الثاني: معاني الحياة والآخرة ودلالاتها في مقامات الخطاب القرآني.

المبحث الثالث: الحياة والآخرة في بنية الخطاب القرآني.

المبحث الرابع: ثنائية الحياة والآخرة في مقامات الخطاب القرآني ودلالاتها النفسية.

مع التركيز على استحضار نماذج من آيات الكتاب الكريم تبين مدى ثنائية الحياة والآخرة، واستعراض أقوال العلماء، وربطها بالدراسات اللغوية والنفسية، وتوضيح كل ما سبق بالوصف والتحليل والدراسة، ويهدف البحث إلى دراسة طرح لمكتبة لغة الخطاب القرآني وعلم النفس، والوقوف على دلالات ثنائية الحياة والآخرة في مقامات الخطاب النفسي، وانعكاساتها على النفس البشرية، وتسليط الضوء على جانب مهم من جوانبها، متعلق بالضبط الذاتي لسلوك الفرد والمجتمع المسلم.

المبحث الأول

مفهوم الحياة والآخرة من منظور لغوي

يتأثر تحديد المفهوم وفق السياق المطروح، أو البنية الفكرية والثقافية التي يقوم عليها النص الخطابي، لذا نستطيع بيان مفهوم الحياة والآخرة في المطالب الآتية:

المطلب الأول: الحياة لغة

تشق الحياة دلالة لها من الفعل الثلاثي (حيا)، فالحياة مفرد، وجمعها حيوات، ومصدر حيي، والحياة والحيوة بفتح الياء وسكون الواو: ضد الموت، والحي: ضد الميت، والمحي مفعل من الحياة^(١)، وحيي حياة فهو حيي والجمع أحياء وأحييته جعلته حياً واستحييته أبقيته حياً والحيوان الحية وكل حي حيوان^(٢).

المطلب الثاني: الحياة في الاصطلاح ودلالاتها

تعددت الدلالات في الاصطلاحات المعاصرة، نتيجة اتساع العلوم والمعارف والفنون والآداب، فعُرفت الحياة على أنها استمرار بقاء الكائنات بروحها، في عيشة، هي نقيض الموت، وعُرفت أيضاً بأنها: مجموع ما يميّز الكائنات الحيّة، حيوانية كانت أو نباتية، عن غيرها من الجمادات، مثل التغذية والنمو والتناسل والحساسية، وغيرها. وقد قيل: أودى الشّيء بحياة فلان: ذهب به، أهلكه - الحياة الأبدية: الحياة الآخرة - الحياة الباقية: الحياة الآخرة، ما بعد الموت، دار البقاء - الحياة الدنيا: الحياة في عالمنا هذا، عكسها الحياة الآخرة - الحياة العصرية: مواكبة الموضة ومتطلبات العصر - بين الحياة والموت: أي يعاني سكرات الموت، في حالة النزاع - تجارب الحياة: الخبرة التي يكتسبها الإنسان من المواقف والأحداث والأشخاص - حياة أدبية: ما يشهده الأدب من فعاليات ونشاط - حياة اجتماعية: ما يتصل بالوضع الاجتماعي عامة - حياة التشرّد: الضياع والتشرذم - حياة خشنة: أي فقيرة - حياة عائلية: تتصل بالأسرة - دخل حياته: صار جزءاً منها - شريكة الحياة: الزوجة - عادت له الحياة: بُعث من جديد، جُدد الاهتمام به - عركته الحياة: محنك، مجرب - على قيد الحياة: ما زال حياً - في خضمّ الحياة: في مشاغلها الكثيرة - لمدى الحياة: طوال عمره - ماء الحياة: عرق (شراب مسكر) - مسألة حياة أو موت: لا تحتل التأجيل، أمر لا بدّ من الحسم فيه - مستوى الحياة: مستوى المعيشة، طريقة حياة من عنده دخل متوسط في بلد ما - مظاهر الحياة: الفعاليات الظاهرة التي يعبر بها الكائن الحي عن حيويته - مقومات الحياة: أساسياتها - وضع حياته على كفه: خاطر، غامر، جازف - وقف حياته على كذا: خصصها.

- علم الحياة: علم يبحث في بنیان الكائنات الحيّة ووظائفها ومألفها الطبيعي، ونشأتها منذ أزمنة ما قبل التاريخ، وهو قسمان: علم الحيوان، وعلم النبات.
- دورة الحياة: سلسلة من التطوّرات والتغيّرات التي من خلالها يمرُّ الكائن الحي في مرحلة تكوّنه كلاقح مُخصَّب إلى مرحلة البلوغ التي قد يتكوّن فيها لاقح آخر.
- قُبلة الحياة: تنفّس صناعي عن طريق نفخ الهواء من فم المعالج في فم المغمى عليه من عرق وغيره^(٣).

والدُّنا: جمع الدُّنيا وما قرب من خير أو شرّ، الدُّنيا: مؤنث الأذنّى ويُقال هو ابن عمي دنيا (منون وغير منون) قريب لاصق النَّسب، والحياة الحاضرة يُقال هو يعيش في دنيا الأحلام ودُّنيا السرور وشاع مثل هذا الاستعمال، جمع دنى^(٤)، وعبد

الدنيا: المعتكف على خدمتها ومراعاتها، وإياه قصد المصطفى ﷺ بقوله: "تعس عبد الدنيا، تعس عبد الدينار"، وعليه يصح أن يقال: كل إنسان عبد الله^(٥). يتضح مما سبق أن الحياة هي استمرار بقاء الكائنات الحية لا فنائها، وهي بذلك ضد الموت، والحياة كعلم قائم بذاته في العلوم الحديثة، يقوم على الكشف عن طبيعة الكائنات ووظائفها وكيفية سيرورتها في النظام الكوني، والبحث في أساسياتها ونشأتها، وعلى هذا توسعت دلالة الحياة لتصبح كيانا دلاليا له فروع وقائم بذاته.

المطلب الثالث: الآخرة لغة

تشتق الآخرة من الفعل الثلاثي (أخر)، الآخرة مفرد وجمعها وأخر: مؤنث آخر^(٦)، والآخر: اسم يقابل به الأول، موضع للنهاية؛ كما أن مقابله للبداية، مشتق من أَّخَرَ يَأْخِرُ كضرب يضرب، أخورا، فهو آخر، وهما آخران وهم آخرون. وفي المؤنث: آخرة، وأخرتان، وأخرات، وأواخر. وأخر - بفتح الخاء - يقابل به الواحد. وهما آخران، وهم آخرون، وفي المؤنث تقول: أخرى، وأخريان، وأخر. والأخير والأخيرة بمعنى الآخر، والآخرة. وأخر الأمر: آخره. وأخرى الليالي: آخر الدهر^(٧). وسُميت الآخرة آخرة؛ لأن الدنيا تؤدي إليها، وآخر الشيء خلاف أوله، فأوله ما بدئ منه وآخره ما ينقطع عند تمامه^(٨).

المطلب الرابع: الآخرة في الاصطلاح ودلالاتها

تعدد المعاني الاصطلاحية التي اتخذتها الآخرة في ثنايا سياق التراكيب، والمتعلقة بأنواع العلوم والثقافات والآداب والفنون، فجاءت الآخرة بمعنى: الآجلة، دار البقاء بعد الموت، والآخرة: مُقَابِلُ الْأُولَى، وَدَارُ الْحَيَاةِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَمِنَ الْعَيْنِ مَا جاور الصدغ، وَيُقَالُ حَصَلَ الشَّيْءُ بِأَخْرِهِ، وَجَاءَ الشَّيْءُ بِأَخْرَةِ أَخِيرًا. الآخرة: النَّسِيئَةُ، يُقَالُ بَعَثَهُ سَلْعَةً بِأَخْرَةٍ بِنظرة. والآخرة: الْأَخِيرُ يُقَالُ نَلْتَهُ بِأَخْرَةٍ وَأَخْرَةٍ أَي أَخِيرًا، وَالْأَخْرَى: مؤنث الآخر، والحياة الآخرة، وَيُقَالُ: لَا أَفْعَلُهُ أُخْرَى اللَّيَالِي أبدأ، جمع آخر وأخريات وَيُقَالُ جَاءَ فِي أَخْرِيَاتِ النَّاسِ، وَفَعَلَ ذَلِكَ فِي أَخْرِيَاتِ أَيَّامِهِ^(٩). وآخرة العين: طرفها الذي يلي الصدغ "أرى احمرارًا في آخرة عينك"، جمادى الآخرة: الشهر الخامس من شهور السنة الهجرية يلي جمادى الأولى^(١٠).

إن الآخرة هي نهاية الشيء المقابل لشيء، وهذا يدل على قوة العلاقة بين الدنيا والآخرة، التي اتخذت صوراً كثيرة في التعبير القرآني، فنجد الحياة الدنيا والآخرة، والأولى والآخرة، والحياة الدنيا ويوم القيامة، إن التقابل الدلالي كان واضحاً في الخطاب القرآني للحياة والآخرة.

المبحث الثاني

معاني الحياة والآخرة ودلالاتها في مقامات الخطاب القرآني

إن مقام الخطاب في النصوص يعمل على إنتاج دلالات تتناسب مع الموضوع المطروح، في ثنانيا النص وبنيته ونسيجه وتركيبه، وبناء على ذلك نستطيع بيان معاني الحياة والآخرة ودلالاتها، في مقامات الخطاب القرآني، على النحو الآتي:

المطلب الأول: الحياة في القرآن الكريم

يؤدي السياق القرآني دوراً بارزاً في إنتاج الدلالات ضمن السور والآيات، وجاءت الحياة في القرآن الكريم على عدة أوجه^(١):

الوجه الأول: تمييز الصورة ونفخ الروح قال: ﴿وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ﴾ (البقرة: ٢٨) أي: كنتم نطفاً فميز صوركم، ونفخ فيكم الروح، كذا قيل، ويجوز عندنا أن يكون أراد أنكم كنتم نطفاً أمواتاً فجعلكم أحياء.

وليس في الكلام دلالة على أنه أراد تمييز الصورة. وسمي النطف أمواتاً؛ لأن كل ما ينفصل من الإنسان سمي ميتاً، مثل النطفة والدم وما بسبيلهما ونحوه: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ (الحج: ٦٦)، وقوله: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ (الأنعام: ٩٥) قالوا: معناه يخرج الحيوان من النطفة، والطائر من البيضة، وقيل: يخرج المؤمن من الكافر، ويجوز أن يكون أراد أنكم كنتم تراباً فجعلكم أحياء، والجماد قد تسمى ميتاً على جهة التوسع؛ لأنه عدم الحس والحركة.

الوجه الثاني: محي الحي بمعنى العاقل العارف، قال الله: ﴿لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا﴾ (يس: ٧٠)، ونحوه قول الشاعر:

لقد أسمعْت لو ناديت حياً
ولكن لا حياة لمن تُنادي

أي: لو تنادي عاقلاً، والمراد أنه لا يستعمل عقله، ولو لم يكن له عقل أصلاً لم يكن مكلفاً.

الوجه الثالث: الحي بمعنى المهتدي، قال الله: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ (الأنعام: ١٢٢)، أي: كافرًا فهديناه، ونحوه قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ﴾ معناه لا يستوي المؤمن والكافر، فأخرج ما لا يقع عليه الحاسة إلى ما يقع عليه الحاسة، كما قال: ﴿أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾ (إبراهيم: ١٨)، وما كان مجري هذا المجرى، وهو أعظم في البيان؛ لأن العيان فضلاً على ما سواه.

الوجه الرابع: الحياة بمعنى البقاء، قال سبحانه: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (البقرة: ١٧٩)، يعني: أن من يعرف أنه إذا قتل اقتُص منه، كفَّ عن القتل فبقى

حيا، والمراد أنه يبقى حياً فحقيقة المعنى أن لكم في القصاص بقاء حياة ونحوه: ﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾ (البقرة: ٤٩)، أي: يستبقونهن فتتضاعف المحنة عليكم، ببقاء النساء مع فناء الرجال، واستحياء واستبقاه بمعنى واحد، فاستبقاه طلب بقاءه، واستحياء طلب حياته، ولا يستبقيه إلا وهو يستحييه، ولكن لفظ الاستبقاه أكثر في الاستعمال فلأجل هذا فسروا الاستحياء بالاستبقاه.

الوجه الخامس: مثل قول الله: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ (المائدة: ٣٢)، أي: من استنقذها من الضلال أو أغاثها من المكروه فإنه أحيا الناس جميعا، أي: أجره أجر من أحيا الناس جميعا، وأجر من يحيي الناس جميعا يتضاعف على قدر ذلك، ويجوز أن يكون معناه أنه قد أسدى إلى كل واحد منهم يدا بإحيائه أخاه المؤمن؛ فكأنه أحياهم كما تقول للرجل يسدي إليك يدا قد أحيتني، وإن كان لا يقدر على ذلك. **الوجه السادس:** الحياة بعد الموت، قال: ﴿وَأُخِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ (آل عمران: ٤٩)، وقال: ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾ (القيامة: ٤٠).

الوجه السابع: للقوة النامية الموجودة في النبات والحيوان، ومنه قيل: نبات حي، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا﴾ (الأنبياء: ٣٠).

الوجه الثامن: للقوة الحساسة، وبه سمى الحيوان حيواناً ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ﴾ (فاطر: ٢٢)، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِ الْمَوْتَى﴾ (فصلت: ٣٩)، فقوله: ﴿إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا﴾ إشارة إلى القوة النامية، وقوله ﴿لَمُحْيِ الْمَوْتَى﴾ إشارة إلى القوة الحساسة.

الوجه التاسع: عبارة عن ارتفاع الغم. وبهذا النظر قال الشاعر:
ليس من مات فاستراح بميت إنما الميت ميت الأحياء

وعلى هذا قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ. فَرِحِينَ﴾ (آل عمران: ١٦٩)، أي هم متلذذون. **الوجه العاشر:** الحياة الأخروية الأبدية. وذلك يتوصل إليه بالحياة التي هي العقل والعلم. وقوله تعالى: ﴿يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ (الفجر: ٢٤)، يُعنى به الحياة الأخروية الدائمة.

الوجه الحادي عشر: الحياة التي يوصف بها البارئ تعالى، فإنه إذا قيل فيه تعالى: هو حي فمعناه: لا يصح عليه الموت، وليس ذلك إلا الله تعالى.

والحياة باعتبار الدنيا والأخرى ضربان: الحياة الدنيا والحياة الآخرة^(١٢):
- قال تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ﴾ (الرعد: ٢٦)، أي الأعراف

الذنبوية.

- قوله تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ﴾ (البقرة: ٩٦)، أي حياة الدنيا.
- قوله تعالى: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى﴾ (البقرة: ٢٦٠)، كان يطلب أن يُريه الحياة الأخرى المعرّة عن شوائب الآفات الذنبوية.
- قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾ (البقرة: ١٩٧)، أي يرتدع بالقصاص من يريد الإقدام على القتل، فيكون في ذلك حياة الناس.
- قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً﴾ (المائدة: ٣٢)، أي من نجّاهم من الهلاك. وعلى هذا قوله: ﴿أَنَا أَحْيِي وَأُمِيتُ﴾ (البقرة: ٢٥٨)، أي أعفو فيكون إحياءً.
- والحيوان: مقرّ الحياة، ويقال على ضربين: أحدهما ماله الحاسة، والثاني ماله البقاء الأبدي. وهو المذكور في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾ (العنكبوت: ٦٤)، وقد نبّه بقوله: ﴿لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾ أن الحيوان الحقيقي السرمدي الذي لا يفنى، لا ما يبقى مدّة ويفنى بعدها. وقال بعض اللغويين الحيوان والحياة واحد. وقيل: الحيوان ما فيه الحياة، والموتان ما ليس فيه الحياة. والحياء: المطر لأنّه يحيى به الأرض بعد موتها.

وقوله تعالى: ﴿نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى﴾ (مريم: ٧)، فيه تنبيه أنه سماه بذلك من حيث إنّه لم تمته الذنوب، كما أماتت كثيراً من ولد آدم، لا أنّه كان يعرف بذلك فقط فإنّ هذا قليل الفائدة. قوله تعالى: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ (الروم: ١٩)، أي يخرج الثبات من الأرض والإنسان من النطفة.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا﴾ (النساء: ٨٦)، فالتحية أن يقال: حيّاك الله، أي جعل لك حياة، وذلك إخبار ثمّ يجعل دعاء، ويقال: حيّا فلان فلانا تحية إذا قال له ذلك، وأصل التحية من الحياة، ثمّ جعل ذلك دعاء، تحية لكون جميعه غير خارج عن حصول الحياة أو بسبب الحياة إمّا لدنيا أو لآخرة، ومنه التحيّات لله^(١٣).

شملت الحياة في القرآني دلالات كثيرة، أنتجها السياق القرآني الذي خاطب العقل البشري في حالات متنوعة تتماشى مع طبيعة التقدم الحضاري الذي ألمّ بمناحي الحياة الإنسانية، فجمع القرآن ألفاظاً مرادفة للحياة، تعدّ الدنيا أكثرها استخداماً.

المطلب الثاني: الآخرة في القرآن

يعبّر بالدار الآخرة عن النشأة الثانية؛ كما يعبّر بالدار الدنيا عن النشأة الأولى: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾ (العنكبوت: ٦٤)، وربما تُرك ذكر الدار؛ كقوله

تعالى: ﴿لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ﴾ (هود: ١٦)، وقد توصف الدار بالآخرة تارة، ويضاف إليها أخرى؛ نحو قوله سبحانه: ﴿وَلِلدَّارِ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ (الأعراف: ١٦٩)، ﴿وَلِدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ﴾ (الأنعام: ٣٢)، والتقدير هنا: دار الحياة الآخرة.

وذكرت هذه الألفاظ في نص القرآن على ثلاثة عشر وجهاً^(١):

الوجه الأول: بمعنى أهل المعصية والطاعة؛ ﴿وَأَخْرُورٌ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ﴾ (التوبة: ١٠٢).

الوجه الثاني: آخر بمعنى العذاب والعقوبة: ﴿وَأَخْرُورٌ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ﴾ (ص: ٥٨).

الوجه الثالث: أخرى بمعنى أهل النار في حال التوبيخ والتعيير ﴿قَالَتْ أَخْرَاهُمْ﴾ (الأعراف: ٣٨).

الوجه الرابع: أخرى بمعنى إحياء الخلق يوم القيامة، ﴿وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ (طه: ٥٥).

الوجه الخامس: الآخرة بمعنى يوم القيامة ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ﴾ (المؤمنون: ٧٤).
الوجه السادس: بمعنى الجنة خاصة: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ﴾ (البقرة: ٢٠٠)، أي في الجنة.

الوجه السابع: بمعنى الجحيم خاصة ﴿سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الآخِرَةَ﴾ (الزمر: ٩)، بمعنى النار.

الوجه الثامن: بمعنى الأخير في المدة: ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الآخِرَةِ﴾ (ص: ٧)، أي الأخيرة.

الوجه التاسع: بمعنى القبر: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾ (إبراهيم: ٢٧)، أي في القبر.

الوجه العاشر: أهل النفاق: ﴿سَمَاعُونَ لِقَوْمٍ آخِرِينَ﴾ (المائدة: ٤١).

الوجه الحادي عشر: بمعنى المتأخرين عن العزو: ﴿وَأَخْرُورٌ مُرْجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ﴾ (التوبة: ١٠٦).

الوجه الثاني عشر: بمعنى طبّاخ مالك بن الزيان في حال الحبس: ﴿وَقَالَ الآخِرُ إِنِّي أُرَانِي أَحْمِلُ﴾ (يوسف: ٣٦).

الوجه الثالث عشر: بمعنى الأزلي الذي لا بداية له ولا نهاية: ﴿هُوَ الأوَّلُ وَالآخِرُ﴾ (الحديد: ٣).

يلاحظ مما سبق أن الدنيا والآخرة لها معانٍ دلالية متعددة، بحسب سياق الموقف الذي قيلت فيه في ثنايا نصوص الآيات والسور، ولقد تكررت الدنيا في القرآن الكريم ١١٥ مرة وذلك بمثل النص الشريف، قال تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعٌ

الغُرُورِ﴾ (آل عمران: ١٨٥)، وتكررت الآخرة بنفس العدد أي ١١٥ مرة، مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾ (هود: ١٠٣)، رغم أنهما لم يجتمعا في أكثر من حوالي خمسين آية في مثل النص الكريم، قال تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ (القصص: ٧٧).

وانفردت الدنيا في آيات والآخرة في آيات أخر، ورغم ذلك يتساوى عدد مرات ورود كل منهما ١١٥ مرة للدنيا، و١١٥ للآخرة في كل آيات القرآن الكريم.

المبحث الثالث

الحياة والآخرة في بنية الخطاب القرآني

جاءت بنية الخطاب القرآني نحوي في طياتها تراكيب لغوية وأنماط أسلوبية متعددة، وألفاظ معبرة تجسد الصورة القرآنية، وتنقلها بشكل يلامس العاطفة الإنسانية ويخاطب العقل البشري، فتتمية القيم الدينية والأخلاقية، تختلف باختلاف معتقدات الفرد^(١٥)، تلك المعتقدات التي أقرها الله سبحانه وتعالى في الحياة الدنيا والآخرة التي توزن فيها أعمال الأولى، هذه الثنائية عملت على تحقيق الذات، وتقدير حاجات النفس لدى الفرد المسلم، بما يحقق صحة النفس، وتنمية الموارد الأيدلوجية والثقافية والحضارية والاجتماعية والروحية^(١٦).

ووردت ثنائية الحياة والآخرة في التركيبة الأسلوبية في بنية الخطاب القرآني، باستعمال تقنيات توضيحية وظفها سبحانه في النص القرآني، لتحقيق غاية الخطاب الموجهة ضمن مقامات التعبير الموجود، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرًا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَّمْ تَعْنِ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (يونس: ٢٤)، شبهت الآية حال الدنيا في سرعة تقضيها وانقراض نعيمها بعد الإقبال، بحال نبات الأرض في جفافه وذهابه حطاماً، بعد ما التفت وتكاثف وزين الأرض بخضرتها ورفيفه^(١٧).

وهذا من التشبيه المركب، شبهت حال الدنيا في سرعة تقضيها وانقراض نعيمها بعد الإقبال، بحال نبات الأرض في جفافه وذهابه حطاماً بعد ما التفت، وزين الأرض بخضرتها ورفيفه، فَاخْتَلَطَ بِهِ، واشتبك بسببه حتى خالط بعضه بعضاً، فَأَخَذَتْ

الأَرْضُ زُخْرِفَهَا وَازْيَنْتُ كَلامَ فصيح: جعلت الأرض آخذة زخرفها على التمثيل بالعروس، إذا أخذت الثياب الفاخرة من كل لون، فاكتستها وتزينت بغيرها من ألوان الزين^(١٨).

وقد عبرت هذه الآية الكريمة عن سرعة زوال الحياة الدنيا وفنائها، وأنها زخرف خادع، سرعان ما يبهر وينطفئ بريقه، وهناك لفات في التعبير توحى بهذا المعنى إحياء شديدا، فقد قال تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ﴾ نحن هنا في التعبير على سرعة زوال الدنيا، لذلك جاء المعنى متناسقا مع هذه الفكرة، ونرى كيف أن النبات هو الذي يسرع ليستقبل ماء السماء مع أن ماء السماء هو الذي يسقط على النبات، وفي هذا قوة في المعنى تمنحه بعدا عميقا، وكذلك يقفز الزمن مراحل سريعة، فسرعان ما تأخذ الأرض زخرفها وتزين، وسرعان ما يظن أهلها أنهم مقيمون في نعيمها، وسرعان ما يأتيها أمر الله ليلا أو نهارا، فتصبح حصيدا كأن لم تغن بالأمس، تناسق بديع وملاءمة بين المعنى والمبنى تبلغ قمة الكمال!، وسمى القرآن الحياة الدنيا لعبا ولهوا، وتحدث في مواضع كثيرة عن مصير هذه الحياة، وأنها مهما بلغت من الجمال والزينة والبهاء، فإنها صائرة إلى الفناء والزوال^(١٩).

إن التقابل الدلالي هو تعاكس الدلالة والكلمات^(٢٠)، وقد جاءت الحياة والآخرة في حالة تقابلية في معظم آيات القرآن الكريم، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (الأنعام: ٣٢)، جعل أعمال الدنيا لعباً ولهواً واشتغالا بما لا يعنى ولا يعقب منفعة، كما تعقب أعمال الآخرة المنافع العظيمة، وقوله لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ، دليل على أن ما عدا أعمال المتقين لعب ولهو^(٢١). وقضية البعث والحساب والجزاء في الدار الآخرة من قضايا العقيدة الأساسية، التي جاء بها الإسلام، والتي يقوم عليها بناء هذه العقيدة بعد قضية وحدانية الألوهية، والتي لا يقوم هذا الدين - عقيدة وتصوراً، وخلقاً وسلوكاً، وشريعة ونظاماً - إلا عليها وبها.

إن هذا الدين الذي أكمله الله، وأتم به نعمته على المؤمنين به، ورضيه لهم ديناً - كما قال لهم في كتابه الكريم - هو منهج كامل للحياة في حقيقته، متكامل متناسق في تكوينه، ويتكامل ويتناسق فيه تصوره الاعتقادي مع قيمه الخلقية، مع شرائعه التنظيمية، وتقوم كلها على قاعدة واحدة من حقيقة الألوهية فيه وحقيقة الحياة الآخرة. فالحياة - في التصور الإسلامي - ليست هي هذه الفترة القصيرة التي تمثل

عمر الفرد، وليست هي هذه الفترة المحدودة التي تمثل عمر أمة من الناس، كما أنها ليست هي هذه الفترة المشهودة التي تمثل عمر البشرية في الحياة الدنيا. إن الحياة في التصور الإسلامي تمتد طويلاً في الزمان، وعرضاً في الآفاق، وعمقاً في العوالم، وتنوعاً في الحقيقة عن تلك الفترة التي يراها ويظنها ويتذوقها من يسقطون الحياة الآخرة من حسابهم ولا يؤمنون بها.

إن الحياة -في التصور الإسلامي- تمتد في الزمان، فتشمل هذه الفترة المشهودة -فترة الحياة الدنيا- وفترة الحياة الأخرى التي لا يعلم مداها إلا الله، والتي تعد فترة الحياة الدنيا بالقياس إليها ساعة من نهار! وتمتد في المكان، فتضيف إلى هذه الأرض التي يعيش عليها البشر داراً أخرى: جنة عرضها كعرض السماوات والأرض، وناراً تسع الكثرة من جميع الأجيال التي عمرت على وجه الأرض ملايين السنين! وتمتد في العوالم، فتشمل هذا الوجود المشهود إلى وجود مغيب لا يعلم حقيقته إلا الله، ولا نعلم عنه إلا ما أخبرنا به الله تعالى. وجود يبدأ من لحظة الموت، وينتهي في الدار الآخرة. وعالم الموت وعالم الآخرة كلاهما من الغيب. وكلاهما يمتد فيه الوجود الإنساني في صور لا يعلمها إلا الله.

وتمتد الحياة في حقيقتها فتشمل هذا المستوى المعهود في الحياة الدنيا، إلى تلك المستويات الجديدة في الحياة الأخرى، في الجنة والنار سواء، وهي ألوان من الحياة ذات مذاقات ليست من مذاقات الحياة الدنيا، ولا تساوي الدنيا -بالقياس إليها- جناح بعوضة! والشخصية الإنسانية -في التصور الإسلامي- يمتد وجودها في هذه الأبعاد من الزمان، وفي هذه الآفاق من المكان، وفي هذه الأعماق والمستويات من العوالم والحياة، ويتسع تصورها للوجود كله، وتصورها للوجود الإنساني، ويتعمق تذوقها للحياة وتكبر اهتماماتها وتعلقاتها وقيمها، بقدر ذلك الامتداد في الأبعاد والآفاق والأعماق والمستويات، بينما أولئك الذين لا يؤمنون بالآخرة، يتضاءل تصورهم للوجود الكوني، وتصورهم للوجود الإنساني، وهم يحشرون أنفسهم وتصوراتهم وقيمهم وصراعهم في ذلك الجحر الضيق الضئيل من هذه الحياة الدنيا! ومن هذا الاختلاف في التصور يبدأ الاختلاف في القيم، والنظم، ويتجلى منه حقيقة أن هذا الدين منهج حياة متكامل متناسق، تتبين قيمة الحياة الآخرة في بنائه: تصوراً واعتقاداً، وخلقاً وسلوكاً، وشريعة ونظاماً.

إن إنساناً يعيش في هذا المدى المتطاوّل من الزمان والمكان والعوالم والمذاقات، غير إنسان يعيش في ذلك الجحر الضيق، ويصارع الآخرين عليه، بلا

انتظار لعوض عما يفوته، ولا لجزاء عما يفعله ويفعل به. إلا في هذه الأرض ومن هؤلاء الناس! إن اتساع التصور وعمقه وتنوعه ينشئ سعة في النفس وزيادة في الاهتمامات ورفعته في المشاعر! ينشأ عنها خلق وسلوك، غير خلق الذين يعيشون في الجحور وسلوكهم! فإذا أضيف إلى سعة التصور وعمقه وتنوعه، طبيعة هذا التصور، والاعتقاد في عدل الجزاء في الآخرة، وضخامة العوض عما يفوت، ونفاسته، استعدت النفس للبدل في سبيل الحق والخير والصلاح الذي تعلم أنه من أمر الله، وأنه مناط العوض والجزاء، وصلاح خلق الفرد واستقام سلوكه - متى استيقن من الآخرة كما هي في التصور الإسلامي - وصلحت الأوضاع والأنظمة، التي لا يتركها الأفراد تسوء وتحرف، وهم يعلمون أن سكوتهم عن فسادها لا يحرمهم صلاح الحياة الدنيا وحدها وخيراتها، ولكنه يحرمهم العوض في الآخرة، فيخسرون الدنيا والآخرة! (٢٢).

جاءت ثنائية الدنيا والآخرة في التركيب النحوي في معظم الآيات والسور، موصوفة فوردت الحياة موصوفة بلفظ (الدنيا)، مثل قوله تعالى: ﴿زَيْنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (البقرة: ٢١٢)، فاتصفت الحياة بالدنيا التي جاءت صفة مجرورة بالكسرة وكان الدنيا في حالة انكسار وخسران إذا لم يستثمرها الإنسان في عبادة الديان، فالصفة تتبع الموصوف أي الصفة وفق الموصوف في إعرابه فهي وفقه في الأفراد والتنشئة والجمع والتعريف والتكثير والتأنيث (٢٣).

وكذلك في ثنائية الحياة والدنيا جاءت الآخرة بمرادفاتها من مثل: يوم القيامة، بتركيب إضافي، مضاف ومضاف إليه، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تَفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (البقرة: ٨٥)، فجاء القيامة مضافة إلى يوم للتعبير عن الآخرة، فالإضافة نسبة بين اسمين، على تقدير حرف الجر، توجب جرّ الثاني أبداً (٢٤)، والغرض من الإضافة الحقيقية التعريف (٢٥)، فعرفت القيامة كلمة (يوم) النكرة.

ورد ذكر الحياة قبل الآخرة في مواضع كثيرة، مثل قوله تعالى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا، وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ (الأعلى: ١٦-١٧)، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (القصاص: ٧٠)، وهذا ينسجم مع الفطرة الإنسانية في عمق التعليم من المحسوسات والمشاهدات، فالحياة بفعالها ماثلة

أمام الحس البشري والتفكير العقلي بمكونات الكون وأحداثه ونظامه ومجرياته. واستخدام حروف العطف كرابط أساسي تقتضي التشريك في اللفظ والمعنى^(٢٦)، مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (النور: ١٩)، فالآخرة شارك الدنيا في حتمية وقوع العذاب ومرد ذلك إلى الله. واستعمال أسلوب التفضيل بين الحياة والآخرة، مثل قوله تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفْلاً تَعْفَلُونَ﴾ (القصص: ٦٠)، هذا حض من الله لعباده على الزهد في الدنيا وعدم الاغترار بها، وعلى الرغبة في الآخرة، وجعلها مقصود العبد ومطلوبه، ويخبرهم أن جميع ما أوتي الخلق، من الذهب، والفضة، والحيوانات والأمتعة، والنساء، والبنين، والمآكل، والمشرب، والذات، كلها متاع الحياة الدنيا وزينتها، أي: يتمتع به وقتاً قصيراً، متاعاً قاصراً، محشوا بالمنغصات، ممزوجاً بالغصص.

ويزين به زماناً يسيراً، للفخر والرياء، ثم يزول ذلك سريعاً، وينقضي جميعاً، ولم يستفد صاحبه منه إلا الحسرة والندم، والخيبة والحرمان، ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ من النعيم المقيم، والعيش السليم ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ أي: أفضل في وصفه وكميته، وهو دائم أبداً، ومستمر سرمداً^(٢٧).

وتوظيف التكرار في التعبير عن ثنائية الحياة والآخرة، فالتكرار أسلوب تعبيرى يصور انفعال النفس بمثير ما، واللفظ المكرر منه هو المفتاح الذي ينشر الضوء على الصورة لاتصاله بالوجدان، فالمتكلم إنما يكرر ما يثير اهتماماً عنده، وهو يجب في الوقت نفسه أن ينقله إلى نفوس مخاطبيه أو من هم في حكم المخاطبين ممن يصل القول إليهم على بعد الزمان والديار^(٢٨)، مثال ذلك قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾ (الشورى: ٢٠).

هذه أبرز الملامح الأسلوبية التي تم استشفافها من بنية الخطاب القرآني، وهذه الملامح الأسلوبية في معظمها تدلل على الفاعلية الدلالية المتجددة بين أركان العملية التواصلية من منشأ النص الله عز وجل والنص القرآني الخالد رسالاته والمتلقي للنص الذي يستقرئ دلالات نصوص الآيات والسور في سياقات زمنية ومكانية مفتوحة تقي بتلبية المطلوب بقاعدة ربانية ذات منهج إنساني تحمل في ثناياها الحق والخير والعدل والإنصاف لبني البشر في ظل متغيرات الحياة ومتقلباتها على مر السنين والأزمان.

المبحث الرابع ثنائية الحياة والآخرة في مقامات الخطاب القرآني ودلالاتها النفسية

يركز الأسلوب القرآني، فيما يعبر عنه من الموضوعات والمعاني، على السمة الإنسانية الشاملة؛ ويحاذر أن يأتي في خطابه للناس أو في شيء من تعليقاته على الأحداث، بما ينه فكر القارئ إلى خصوص بيئة أو عرق أو إقليم أو جماعة معينة من الناس^(٢٩). ومن يتأمل الخطاب القرآني في الدعوة إلى النظر في آيات الله؛ يجد أنه ينزل في نفوس المؤمنين منزلة الأمر، فالمسألة عندهم إذن مسألة فريضة وتكليف، لكن من البديهي أن يتفاوت هذا التكليف بالنظر في آيات الله من مؤمن إلى مؤمن، ومن قارئ إلى قارئ، إذ أن نظرهم هذا يتفاوت بتفاوت استعدادهم ومقدرة إدراكهم وحصيلة معارفهم^(٣٠).

أسهم الخطاب القرآني في إشراك حس الإنسان ومشاعره في رسم صورة الحياة والآخرة، "فالشعور ليس شيئاً يضاف إلى الصور الحسية، وإنما الشعور هو الصورة، أي أنها الشعور المستقر في الذاكرة"^(٣١)، فوزان بذلك بين ما هو موجود في العاطفة وما هو متصور في العقل البشري، ليؤثر في مشاعره وليوسع مداركه وليعمل تفكيره للوصول إلى ما قاله سبحانه في كتابه العزيز.

إن ملاءمة الألفاظ لمقام القرآن ضمن الآيات والسور، جاء واضحاً بيناً في الحديث عن ثنائية الحياة والدين، وعرضها بشكل موحى ومعبر وجميل، و"منشأ الجمال هو الاتساق والانسجام في الألوان والأشكال والأساليب والتغمات، سواء أكان ذلك الانسجام طبيعياً أم صناعياً، وأساس الانسجام هو الوحدة مع التعدد، أي اجتماع عناصر مختلفة وائتلافها بحيث تكون وحدة مترابطة الأجزاء متناسقة العناصر"^(٣٢)، اقتران الحياة والآخرة بمعاني دلالية متعددة، أنتجها الخطاب القرآني في ثنايا نصوص الآيات والسور، وهي كما يأتي:

١. الخزي في الحياة والدين والعذاب الشديد في الآخرة للقوم الكافرين بما أنزل الله، والعصاة الذين لم يمتثلوا لأوامره، لقوله تعالى: ﴿أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقُولُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ قَرِيبًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَطَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُواكُمْ أُسَارَى فَتَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَلَا تُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا لِلَّهِ بِعَاقِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ

يُنصَرُونَ» (البقرة: ٨٥-٨٦)، إن الخزي عقوبة نفسية بالدرجة الأولى وهو الذل والهوان بين الآخرين، فيصبح الإنسان غير واثقاً من نفسه يشعر بالنقص حتى يعدل من سلوكه من أجل الفوز برضا الله وتحقيق ما أمره به في هذه المعمورة.

٢. زينة الحياة وزخرفها وسخرية الكافرين، وعلو مرتبة المؤمنين يوم القيامة، لقوله تعالى: ﴿زَيْنٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (البقرة: ٢١٢)، تشير الآية إلى استغراق الكفار في الحياة الدنيا واعتراهم بما تيسر لهم من أسباب اليسر والنعيم فيها وما ساقهم هذا إليه من السخرية بالمؤمنين وتنقصهم لهم. ثم تقرر أن المتقين من المؤمنين سوف يكونون فوقهم يوم القيامة مكرمين عند الله الذي يرزق من يشاء بغير حساب^(٣٣)، وجه سبحانه وتعالى النفس البشرية إلى ضرورة تقوى الله في السراء والضراء التي تصيب الإنسان في الدنيا، ووعده الله المؤمنين والمتقين بالرفعة والعلو والتسامي في الآخرة يوم الحساب، وذم الله الكافرين الجاحدين لنعمه، فالحياة اقترنت بالزينة والسخرية، فالزينة هي فترة محددة غير ملازمة للإنسان في سائر أحوال حياته، والسخرية نتيجة نزوة شهوانية طارئة سرعان ما تلب أن تزول في سياق الحال، مع بقائها رواسبها في النفس التي تحرك غريزة حب السيادة والظهور والتعالي على الآخرين أهل الحق والصلاح، وهذه طباع المشركين وشيمهم النفسية التي يمتازون بها منذ أزل بعيد.

٣. متاع الحياة الدنيا وحسن المآب في الآخرة، لقوله تعالى: ﴿زَيْنٌ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾ (آل عمران: ١٤)، يقر الله بالغرناز البشرية التي جبل عليها الإنسان من حب للشهوات من أشياء نبه عليها في القرآن الكريم، وأشار إلى أن هذه الأشياء التي اقتنن ذكرها بالشهوة ما هي إلا متاع والله عند حسن الرجوع والإيابة، فالاستغراق في شهوات الدنيا، وרגائب النفوس، ودوافع الميول الفطرية هو الذي يشغل القلب عن التبصر والاعتبار ويدفع بالناس إلى الغرق في لجة اللذائذ القريبة المحسوسة ويحجب عنهم ما هو أرفع وأعلى ويغلف الحس فيحرمه متعة التطلع إلى ما وراء اللذة القريبة ومتعة الاهتمامات الكبيرة اللاتقة بدور الإنسان العظيم في هذه الأرض واللائقة كذلك بمخلوق يستخلفه الله في هذا الملك العريض، ولما كانت هذه الرغائب والدوافع -مع هذا- طبيعية وفطرية، ومكلفة من قبل البارئ ﷻ أن تؤدي للبشرية دوراً أساسياً في حفظ الحياة وامتدادها. فإن الإسلام لا يشير بكبتها وقتلها، ولكن إلى ضبطها وتنظيمها، وتخفيف حدتها واندفاعها

وإلى أن يكون الإنسان مالكا لها متصرفاً فيها، لا أن تكون مالكة له متصرفة فيه وإلى تقوية روح التسامي فيه والتطلع إلى ما هو أعلى، ومن ثم يعرض النص القرآني الذي يتولى هذا التوجيه التربوي... هذه الرغائب والدوافع، ويعرض إلى جوارها على امتداد البصر ألواناً من لذائذ الحس والنفس في العالم الآخر، ينالها من يضبطون أنفسهم في هذه الحياة الدنيا عن الاستغراق في لذائذها المحببة، ويحتفظون بإنسانيتهم الرفيعة^(٣٤).

٤. استيفاء الأجر تحكيماً لسلوك الإنسان وعمله وأفعاله، والتأكيد على أن الحياة الدنيا متاع يغتر به الإنسان ويتوهم بأن سرمدي دائم، ولكن سنة الله في خلقه إلى الموت والفناء، وكل ما سبق يمثل منهجاً ربانياً يوجه سلوك النفس ويسهم في رقيها وضبط تصرفاتها، فقال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّرُونَ أَجْرَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ (آل عمران: ١٨٥)، هذه الآية الكريمة فيها التزهيد في الدنيا بفنائها وعدم بقائها، وأنها متاع الغرور، تفتن بزخرفها، وتخدع بغرورها، وتغر بمحاسنها، ثم هي منتقلة، ومنتقل عنها إلى دار القرار، التي توفى فيها النفوس ما عملت في هذه الدار، من خير وشر^(٣٥).

٥. شراء الحياة الدنيا بالآخرة، مقابل الأجر العظيم يوم الحساب والفوز بجنان عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين الذين أقاموا ذكر الله في أرضه وجاهدوا في سبيله، لقوله تعالى: ﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (النساء: ٧٤)، يبيعون الدنيا ليفوزوا بالآخرة وهم المؤمنون حقاً فيقدمون أموالهم وأرواحهم طلباً للفوز بالدار الآخرة يقاتلون من لا يؤمن بالله ولا ببقائه بعد أن يدعوهم إلى الإيمان بربه والتوبة إليه، ثم أخبرهم أن من يقاتل استجابة لأمره تعالى فيقتل، أي: يستشهد أو يغلب وينتصر على كلا الحالين فسوف يؤتاه الله تعالى أجراً عظيماً، وهو النجاة من النار ودخول الجنة^(٣٦).

٦. عرض الحياة الدنيا ومغانم الدار الآخرة، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَى إِلَيْكُمْ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ (النساء: ٩٤)، فالعرض ما يعرض للإنسان من منافع الدنيا سمي عرضاً لأنه لا يدوم^(٣٧)، والمغانم أي رزق وفضل كثير^(٣٨)، فالعرض لا يدوم بينما المغنم هو الدائم الثابت، مما ينعكس على تركيز الإنسان في تفكيره الجدي في تحصيل الربح والفوز والفلاح.

٧. الجدل والحجاج في الدنيا، ولا جدال في الآخرة، لقوله تعالى: ﴿هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ

جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكَيْلًا، وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا، وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (النساء: ١٠٩-١١١)، فالجدل طريقة في المناقشة والاستدلال^(٣٩)، والجدل في كلام العرب المبالغة في الخصومة، مشتق من الجدل وهو شدة الفتل^(٤٠)، والمجادلة: المدافعة بالقول وهي من فتل الكلام وليه^(٤١)، وهذه الآيات وعيد محض، ولما تمكّن هذا الوعيد، وقضت العقول بأن لا مجال لله سبحانه، ولا وكيل يؤوم بأمر العصاة عنده، عقب ذلك بهذا الرجاء العظيم، والمهل المنفسح، فقال: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ﴾^(٤٢)، فالنفس تحمل وزر ما تفعله، وكان الله ﷻ يرد أن يوصل رسالة تدرب الفرد على تحمل المسؤولية تجاه أفعال النفس وما يصدر عنها من ردود.

٨. الحياة لعب ومتعة ولهو عند الكافرين والآخرة خير للمتقين، لقوله تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (الأنعام: ٣٢)، فاللعب واللهو يعبر عن حالة شعورية يشعر فيها الإنسان بالارتياح النفسي ولكن في مدة زمنية وجيزة وليس على المدى البعيد، وأكد سبحانه أن الدار الآخرة خير للذين يتقون الله ويجعلون مخافة الله نُصب أعينهم، وهذا ضابط سلوكي ذاتي يدل على العقلانية واكتمال الشخصية عند الفرد.

٩. تحكيم العقل وإعمال التفكير والتأمل في مخلوقات الله، لقوله تعالى: ﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَعَرَثَهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكَرَ بِهِ أَنْ تَبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعَدَّلَ كُلُّ عَدَلٍ لَا يُؤْخَذُ مِنْهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ (الأنعام: ٧٠)، فيقول الله اتركهم فلا يهتمك أمرهم وفي هذا تهديد لهم على ما هم عليه من الكفر والسخرية والاستهزاء، أبلسوا: أسلموا وأخذوا إلى جهنم بما كسبوا من الذنوب والآثام لهم في جهنم شراب من ماء حميم حار وعذاب موجه اليم. وذلك بسبب كفرهم بالله وآياته ورسوله حيث نتج عن ذلك خبث أرواحهم فما أصبح يلائم وصفهم إلا عذاب النار قال تعالى من هذه السورة سيجزيهم وصفهم إنه حكيم عليم^(٤٣)، يؤكد سبحانه على ضرورة الموازنة بين العقل والعاطفة لا الانسياق وراء الشهوات والنزوات الطارئة التي تذهب بالإنسان إلى الانحراف، وإنما إشباع الرغبات والشهوات بالنهج الإسلامي الوسيط والمعتدل، هذا النهج الذي يعمل على اتزان الشخصية المسلمة وتنميتها وتطويرها في ظل متغيرات الحياة وتقلباتها المفاجئة، فشكل قاعدة حياتية متينة لا

تتغير مع مد الحياة وجزرها.

١٠. نذير الآخرة وغرور الحياة الدنيا، لقوله تعالى: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُذِّرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَعَرَّثَهُمُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾ (الأنعام: ١٣٠)، يؤكد سبحانه على الثقة بالنفس والعمل على تركيتها، والافتداء بأصحاب الرسالات الذين يحملون صوت الحق والعدالة، من أجل الوصول إلى وحدانية الله وإعلاء كلمته وإقامة خلافته ليعز فيها أهل طاعته ويذل فيها أهل معصيته.

١١. رزق الحياة الدنيا وزيتها والفوز بالآخرة للذين آمنوا بالله وعبده، لقوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (الأعراف: ٣٢)، يقرر الله في هذه الآية الكريمة على فلاح المؤمنين في الدنيا وفوزهم بالآخرة، فحل لهم إباحية الطيبات والملذات والزينة في الحياة الدنيا وخلصها لهم في الآخرة، فجعل الله إباحية هذه الأشياء غير منافٍ لنيلها في الآخرة^(٤٤)، إن الوعد والوعيد في القرآن للمؤمنين الصالحين المتقين والجاحدين الآثمين الباغين ليسا قاصرين على الحياة الأخروية، ففيه آيات كثيرة وعد فيها الأولون بالحياة السعيدة الرضية والآخرون بالخيبة والشقاء والعذاب في الحياة الدنيا أيضا. حيث يبدو من هذا تساوق حكمة التنزيل مع الحاجات النفسية العاجلة والآجلة معا لتحقيق أهدافها بصلاح البشر وسعادتهم في الدنيا والآخرة^(٤٥).

١٢. البشرى لأولياء الله المؤمنين والمتقين في الحياة الدنيا والآخرة، لقوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ، الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَنْقُونَ، لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (يونس: ٦٢-٦٤)، فالبشرى والبشارة: الخبر السار، فهو أخص من الخبر، وسمى بذلك لأن أثره يظهر على البشرة وهي ظاهر جلد الإنسان، فيجعله متهلل الوجه، منبسط الأسارير، مبتهج النفس. أي: لهم ما يسرهم ويسعدهم في الدنيا من حياة آمنة طيبة، ولهم- أيضا- في الآخرة ما يسرهم من فوز برضوان الله، ومن دخول جنته^(٤٦)، فشعور الإنسان بالخبر السار يعبر عن حالة انفعالية تحمل في طياتها الخير والطمأنينة للنفس البشرية، مما ينعكس على تقويم السلوك الإنساني وتركيبته.

١٣. الفرح بالحياة الدنيا وهي بالنسبة للآخرة متاع، لقوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ﴾ (الزمر: ٣٦)،

أي إن الكافرين فرحوا بما بسط الله تعالى من الدنيا، فرحوا بها فرحا أدى إلى أن بطروا معيشتهم، وغمطوا الناس حقوقهم، وإن فرحهم بالحياة الدنيا لم يكن فرحا يذوقون حلوها ومرها، بل فرح استعلاء واستغواء لا يلاحظون إلا أنها متعتهم يستكبرون بها على غيرهم، وينسون في سبيل ذلك كل حق عليهم، ولا يعرفون أن المتعة حق يتبعه واجب، وبذلك تكون متعة لا يعقبها خير في الآخرة ينالون به نعيما مقيما؛ إذ لم يلتفتوا إلى الآخرة ومما فيها، ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ﴾ التكتير في (مَتَاعٌ) للتحقير لا للتكبير، أي الإمتاع نزر قليل، لا بقاء له، لأنه سرعان ما يزول إذ هو في الدنيا، والدنيا زائلة^(٤٧)، ويقول الزمخشري في ذلك: "وخي عليهم أن نعيم الدنيا في جنب نعيم الآخرة ليس إلا شيئا نذرا يتمتع به كعجالة الراكب، وهو ما يتعجله به من ثميرات، أو شربة سويق أو نحو ذلك"^(٤٨).

١٤. عذاب الحياة الدنيا وشدة عذاب الآخرة على القوم الكافرين، لقوله تعالى: ﴿عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَعَذَابٌ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ﴾ (الرعد: ٣٤)، إن عذاب الدنيا، فإنه واقع في هذه الحياة، وإن لم يكن هو الأشق، وعذاب الدنيا يبتدئ من ذات أنفسهم، وهو ضلال الفكر واضطرابه وعدم استقامة أنفسهم، فإن استقامة العقل والنفس نعمة واطمئنان واستقرار وضد ذلك عذاب، لا ريب فيه، وعذاب الدنيا باللحاجة في الباطل، والبراهين ساطعة، والأدلة قائمة، ثم من عذاب الدنيا الخزيان والذل، وضرب الذلة، ومن عذاب الدنيا قتلهم بسيف الحق، كما كان في بدر والأحزاب، بل أحد الذين رجعوا فيها من الغنيمة بالإياب، وقد يكون عذاب الدنيا بآية من آية، أما عذاب الآخرة فهو أشق من عذاب الدنيا، ويواجهون الله^(٤٩)، ينيب الله الكافرين من العذاب المنتظر لهم في الحياة الدنيا بظلمهم وجحدهم وعدم استقامتهم، وقسوة العذاب وشدته عليهم في الآخرة، فأنذر سبحانه الكافرين ليقوم سلوكهم وليهذب أنفسهم ويزكي ذواتهم.

١٥. حب الدنيا وإيثارها والركون إليها وكراهية الآخرة، لقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ (إبراهيم: ٣)، التعاسة والظلال البعيد لمن أحب الحياة الدنيا تلك المتعة الفانية وكراهية الآخرة، إن استحباب الحياة الدنيا على الآخرة يصطدم بتكاليف الإيمان ويتعارض مع الاستقامة على الصراط، وليس الأمر كذلك حين تستحب الآخرة، لأنه عندئذ تصلح الدنيا، ويصبح المتاع بها معتدلاً، ويراعى فيه وجه الله، فلا يقع التعارض بين استحباب الآخرة ومتاع هذه الحياة^(٥٠)، وهذا يساعد على الاستقرار

النفسي وبت مشاعر الهدوء والسكينة عند الفرد في الحياة البشرية، وقوله تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيْمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ (النحل: ١٠٦-١٠٧)، والكفر بنعم الله وعصيانه يحلل الغضب والسخط والعذاب العظيم، لجدد الإنسان لنعم الله وفضائله عليه وتيسره لحياته، وغلظ القرآن جريمة من كفر بالله من بعد إيمانه. لأنه عرف الإيمان وذاقه، ثم ارتد عنه إيثاراً للحياة الدنيا على الآخرة. فرماهم بغضب من الله، وبالعذاب العظيم، والحرمان من الهداية ووصمهم بالغفلة وانطماس القلوب والسمع والأبصار وحكم عليهم بأنهم في الآخرة هم الخاسرون.. ذلك أن العقيدة لا يجوز أن تكون موضع مساومة، وحساب للريح والخسارة، ومتى آمن القلب بالله فلا يجوز أن يدخل عليه مؤثر من مؤثرات هذه الأرض فلأرض حساب، وللعقيدة حساب ولا يتداخلان، وليست العقيدة هزلاً، وليست صفقة قابلة للأخذ والرد فهي أعلى من هذا وأعز. ومن ثم كل هذا التعليل في العقوبة، والتفطيع للجريمة، واستثنى من ذلك الحكم الدامغ من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان، أي من أظهر الكفر بلسانه نجاه لروحه من الهلاك، وقلبه ثابت على الإيمان مرتكن إليه مطمئن به^(٥١).

١٦. الثبات على قول الحق في الحياة الدنيا والآخرة، لقوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ (براهيم: ٢٧)، إن قوة الإيمان في قلوب المؤمنين وثباته، وأن الله هو المسير لحياة البشرية جمعاء وهو بيده كل شيء، لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال، فالإنسان مهما تغير وتقلب في هذه الدنيا حسب أهوائه، فإن الله يعلم كل شيء عنه، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، فمصدر الاتزان النفسي يكمن في مدى طاعة الإنسان لخالقه، فمتى التزم أصبح منتجاً لا مستهلكاً، مرناً طيعاً لا عاصياً فاجراً، وينعكس ذلك على صلب العملية التنموية ويعمل على تطويرها، فالقول الثابت الذي ثبت بالحجة والبرهان في قلب صاحبه وتمكن فيه، فاعتقده واطمأنت إليه نفسه. وتثبيتهم به في الدنيا: أنهم إذا فتنوا في دينهم لم يزلوا، كما ثبت الذين فتنهم أصحاب الأعدود، والذين نشروا بالمناشير ومشطت لحومهم بأمشاط الحديد، وتثبيتهم في الآخرة، أنهم إذا سئلوا عند توقف الأَشهاد عن معتقدهم ودينهم، لم يتلعثموا ولم يبهتوا، ولم تحيرهم أهوال الحشر، وقيل معناه الثبات عند سؤال القبر^(٥٢).

١٧. العقاب والمحاسبة في الحياة والممات، لقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَنْ تَبَيَّنَّاكَ لَفَدَّ كِدْتَ

تَرَكْنَ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا، إِذَا لَأَذْفَنَّاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾ (الإسراء: ٧٤-٧٥)، الوعيد بالعقاب والمحاسبة بعد الانحراف عن طريق الجادة التي قد بينها سبحانه وتعالى في المنهج الرباني لأمة الإسلام والمسلمين، ذلك المنهج الذي يضمن السعادة والراحة والطمأنينة ويكفل التماسك الأسري وتوحيد النسيج الاجتماعي وجعلهم على قلب رجل واحد أحبة متعاونين فيما بينهم، وكل واحد يحب لأخيه ما يحب لنفسه، مما يوجد حاضنة بشرية وجبهة مجتمعية متماسكة تسهم في بناء حضاري شامخ يفلح في الدنيا ويفوز في الآخرة، والسبب في تضعيف العذاب، أن الخطأ يعظم بمقدار عظم صاحبه، ويصغر بمقدار صغره، ورحم الله القائل:

وكبائر الرجل الصغير صغائر
وصغائر الرجل الكبير كبائر

إن الرسول ﷺ هو أعظم الخلق على الإطلاق، لذا توعده الله ﷻ بمضاعفة العذاب، لو ركن إلى المشركين أدنى ركون^(٥٣).

١٨. مكاسب الدنيا من مال وبنين كلها فانية، لقوله تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ﴾ (الكهف: ٤٦)، والتمتع بالمال وصرفه في الحلال الذي سمح به الإسلام، فالمال والبنون زينة الحياة والإسلام لا ينهى عن المتاع بالزينة في حدود الطيبات. ولكنه يعطيها القيمة التي تستحقها الزينة في ميزان الخلود ولا يزيد، إنهما زينة ولكنهما ليسا قيمة، فما يجوز أن يوزن بهما الناس ولا أن يقدروا على أساسهما في الحياة، إنما القيمة الحقة للباقيات الصالحات من الأعمال والأقوال والعبادات، وإذا كان أمل الناس عادة يتعلق بالأموال والبنين فإن الباقيات الصالحات خير ثوابا وخير أملا، عند ما تتعلق بها القلوب، ويناط بها الرجاء، ويرتقب المؤمنون نتائجها وثمارها يوم الجزاء، وهكذا يتناسق التوجيه الإلهي للرسول ﷺ في أن يصبر نفسه مع الذين يدعون ربهم في الغداة والعشي يريدون وجهه، مع إحياء قصة الجنين، مع ظل المثل المضروب للحياة الدنيا، مع هذا التقرير الأخير للقيم في الحياة وما بعد الحياة، وتشارك كلها في تصحيح القيم بميزان العقيدة، وتتساوى كلها في السورة وفق قاعدة التناسق الفني والتناسق الوجداني في القرآن^(٥٤)، إن الاعتزاز النفسي بين الأفراد في الدنيا بالمال والبنين، هو معيار سائد بين الناس وطغى في ظل المتغيرات الحضارية، فعمل الإسلام على التنبيه عليه لعدم الاغترار به، وحتى لا ينعكس على نفس الإنسان ويؤثر على سلوكه، وينمي لديه قيم وعادات سلوكية تتم على اهتزاز الشخصية وعدم اتزانها، وإنما جعل الإسلام معيار التفاضل في تقوى الله ولزوم طاعته.

١٩. السعي في الحياة الدنيا وجدد الآخرة ونسيانها، لقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا، الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا، أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَرِثًا﴾ (الكهف: ١٠٣-١٠٤)، يصور الله أعمال الكافرين ويحكم عليها بإبطال ما سَعَوْا فيه في الحياة الدنيا وعملوه^(٥٥)، والسبب في ذلك أن الشخصية الكافرة غير سوية لوجودها وإعراضها مع معرفتها لطريق الحق، فالعناد لدى هذه الشخصية ظاهرة بارزة في سلوكها وهذا زرع لديهم الإرهاب والعنف والقتل والسحق والنفي والتدمير من أجل تحقيق حاجات الذات وتقديرها.

٢٠. محاربة الطمع والجشع والحسد والمحابة التي يقوم بها الإنسان هي مصدر الفتنة، لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ (طه: ١٣١)، معنى الزهرة بعينه وهو الزينة والبهجة^(٥٦)، وفي هذا إشارة إلى أن العبد إذا رأى من نفسه طموحا إلى زينة الدنيا وإقبالاً عليها أن يذكرها ما أمامها من رزق ربه وأن يوازن بين هذا وهذا^(٥٧)، إن الذي يقض مضجع ذوي الأهواء أنهم ينظرون إلى ما عند غيرهم من أسباب المتع والملاذ، وإنه هو الذي يمنع صبر من يريد الصبر ويتغيا الحقائق، ولذا بعد أن أمر الله تعالى نبيه بالصبر نهاء عما يضعف قوة النفس، والإرادة ليصون الرسول ومن معه نفسه، عن الأسباب التي تضعف الإرادة القوية الباصرة^(٥٨)، إن الشخصية السوية هي تلك التي لا تفتن بالمظاهر الجذابة والرنة الخداعة، فسبحانه وجه النفس البشرية إلى في هذه الآية إلى ما عند الله من رزق وفير وخير دائم ونعيم مقيم، فالنفس الإنسانية المؤمنة تهفو لا تعتر بخرف الحياة الدنيا وتسعى دوماً لنيل الحق ونشر الفضيلة والعدالة، لنيل رضا الله في دار الرضوان.

يتضح مما سبق أن ثنائية الحياة والآخرة قد اتخذت دلالات نفسية متنوعة بحسب مقامات القرآن، تمثل قيم وعادات نفسية تستهدف السلوك البشري من أجل بناء الشخصية الإنسانية السوية التي تعمل على إقامة خلافة الله في أرضه وكسب رضوانه في الحياة والآخرة، فالناظر إلى ذلك يجد سبحانه وتعالى خط منهج إسلامي معتدل متوازن يسهم في وجود قاعدة نفسية متوازنة غير مختلة ولا مضطربة، ثابتة لا تهتز ولا تتغير مع مد الحياة وجزرها، فالشخصية الحضارية التي رسم ملامحها سبحانه من خلال حديث عن الحياة الدنيا مرتبطة بقيم وآليات شعورية ترتبط بصورة أو بأخرى بإشباع حاجات النفس وتقدير حاجات الذات، سواء أكانت قيم سوية أم

شاذة، كالسرور والفرح والمتاع والغرور والسخرية والطمع والجشع والفتنة والثبات والصدق والكذب والجحد والبشرى والإيثار والخير والبقاء... وغيرها، وأصعب ما يواجه النفس الإنسانية شعور القلق فهو شعور معمم بالانزعاج البغيض وترقب الخطر والخوف الناجم عن خطر متوقع مجهول المصدر^(٥٩)، وليس معنى ذلك اليأس والقنوط، ولكن الإسلام حمل كل نفس ما كسبت وأرهنها نتيجة فعالها وألزمها بتعليمات روحانية وحياتية لكي تتوافق مع الحياة وتتسجم، وجعل الإسلام للإنسان ضوابط ذاتية للسلوك مع ضوابط كلية للجماعة المسلمة في الحياة والآخرة، فوجد الفرد متنسق مع الفرد والجماعة، مما ينتج مجتمع متآلف متماسك في نسيجه الاجتماعي له قواعد إنسانية خالدة تتماشى مع متغيرات الحياة وتحولاتها المعاصرة، فالقرآن الكريم عرض ثنائية الحياة والآخرة بمشاعر وقيم نفسية محضة وشعورية يحس به الفرد ويعايشها، ولعل السبب في ذلك تجسيد صورة محسوسة عاطفياً ومفهومة عقلياً لبيان مكانة الدنيا والآخرة في نفس الإنسان المؤمن، ولم يلجأ للحيل اللاشعورية التي اعتاد الفرد إلى اللجوء إليها، ليغالب بها المرء إحباطه وقلقه وتوتره الناشئ عن فشله، وهو يحاول تحقيق رغباته^(٦٠)، وهذا يدل على حكمة المنهج الرباني في عرضه لثنائية الحياة والآخرة ودلالاتها في الخطاب القرآني، لقد ولدت المعاني لدى الفرد المسلم دافعية ذاتية منطلقة من عقيدة يؤمن بها محركاً لنشاطاته لتحقيق أهدافه^(٦١)، وهذا ضابط ذاتي يحرك السلوك ويوجهه صوب النافع المفيد الذي يحقق الفلاح في الدنيا والفوز في الآخرة.

نتائج البحث وتوصياته

اشتمل البحث على تحليلات لغوية وتعليقات نفسية متنوعة، وهذه جملة لأهم النتائج والتوصيات، وذلك على النحو الآتي:

أولاً- النتائج.

- ١- اتسمت ذكر الحياة والآخرة في القرآن، بقيم وعادات شعورية يتمتع بها الفرد، تحقق له الانسجام والتوافق في معيشته، وتشعره بالطمأنينة في المصير المجهول الذي ينتظره عند الله، ولكن سبحانه ذكر الإنسان في كل محاور الخطاب القرآني بالتقوى والإنابة إليه، والموازنة بين نصيب الحياة والآخرة.
- ٢- اقترن ذكر الحياة في مقامات القرآن الكريم، برغبات وحاجات نفسية المنشأ، وتتميز بأنها مرحلية آنية غير مستقرة نسبياً، كالزينة والمتاع والسرور والشراء والقول والبشرى والخزي والزينة والفرح والاستعجال، بينما جاء ذكر الآخرة بدلالات مؤكدة

- وثابتة ومستقرة، وفي هذا دلالة على أن الحياة غير مستقرة دلاليًا في الخطاب القرآني، في حين استقرت الآخرة دلاليًا في أسلوب القرآن وتعابيره.
- ٣- لم تتوافق الحياة والآخرة في القرآن الكريم في جميع القيم والعادات المبنوثة في ثنايا الخطاب القرآني، إلا في العادات الدالة على الحساب والعقاب مثل: (النصيب، والخزي، والعذاب)، والمشعرة بالقسوة والصرامة في إتباع النهج الصحيح والاستقامة عليه، وعدم الانحراف عن طريق الجادة، والانسياق وراء الشهوات والنزوات والرغبات.
- ٤- الرضا بما قسم الله (ﷻ) في الحياة يشعر بالسعادة ويبث مشاعر الراحة ويبعث على الهدوء والاتزان في شخصية الإنسان، لذا برع القرآن في علاج المشكلات علاجاً نفسياً ناجعاً بالقضاء على مسبباتها ومصادرها.
- ٥- ركز القرآن في ذكره لثنائية الحياة والآخرة على تقدير الذات وإشباع حاجات النفس ورغباتها، مع الحرص على عدم الاغترار بزخرف الحياة الدنيا ومتاعها الفاني.
- ٦- التوافق مع النفس والانسجام مع الآخرين، يسهم في تحقيق الفلاح في الدنيا، والفوز برضوان الله في الآخرة، الثقة بالنفس والاعتزاز بها وتواضعها نابع من فلسفة الفرد المسلم في الحياة والآخرة.
- ٧- برزت ظاهرة الترادف في ورود ثنائية الحياة والآخرة في الخطاب القرآني.
- ٨- جاءت الحياة تحمل معاني عملية تطبيقية وتوجيهات ربانية بأسلوب قرآني حكيم، تشي بوجود منهج نفسي يقوم على ضبط سلوك الفرد وتحقيق ذاته وتكريمه وإشباع حاجاته ورغباته، بما يعزز استقلالية شخصيته وزيادة إنتاجيتها، مع التذكير بما في الآخر من حساب وجزاء، وعرض للأعمال على الخالق، وهذا يترجم قاعدة الجزاء من جنس العمل، سواء في الحياة أم الآخرة.

ثانياً- التوصيات.

- ١- الإكثار من الأعمال الصالحة بين الأفراد والجماعات، خصوصاً في ظل المتغيرات المعاصرة التي ألمت بحياة الفرد في القرن الحادي والعشرين.
- ٢- ضرورة فتح أذرع الصلة والتواصل والحوار والتعايش بين أبناء الأمة العربية والإسلامية، بما يحقق التكافل والتضامن، من أجل توحيد كلمة الأمة على قلب رجل واحد، وإصلاح حالها وتغيير أوضاعها الراهنة واستشراف مستقبلها، وكل ذلك ينعكس على الشخصية المسلمة ويعمل على استقرارها وتوافقها ورفقيها ومرونتها في ظل كثرة المتغيرات الحديثة التي لم تعهدها البشرية من قبل.
- ٣- ضرورة عقد مؤتمرات دولية وندوات تثقيفية ومحاضرات إرشادية حول خطاب

القرآن الكريم ودلالاته ومقاماته وتركيبه وبنيته الأسلوبية، ودراستها في ضوء علم الدلالة وعلم تحليل الخطاب.

حواشي البحث:

- (١) الصحاح ٦/٢٣٢٣.
- (٢) المخصص ١/١٨٠.
- (٣) معجم اللغة العربية المعاصرة ١/٥٩٩.
- (٤) المعجم الوسيط ١/٢٩٩.
- (٥) التعريفات على مهمات التعاريف ١/٢٣٥.
- (٦) معجم اللغة العربية المعاصرة ١/٧١.
- (٧) بصائر ذوي التمييز ٢/٨٩.
- (٨) الوجوه والنظائر ٩٣ ونزهة الأعين ١٤٩.
- (٩) المعجم الوسيط ١/٩.
- (١٠) معجم اللغة العربية المعاصرة ١/٧١.
- (١١) الوجوه والنظائر ١٩١-١٩٣ ونزهة الأعين ٢٥٣.
- (١٢) بصائر ذوي التمييز ٢/٥١٣.
- (١٣) بصائر ذوي التمييز ٢/٥١٤.
- (١٤) بصائر ذوي التمييز ٢/٨٩-٩٠.
- (١٥) نمو الإنسان من مرحلة الجنين إلى مرحلة المسنين ١١٣.
- (١٦) الحديث النبوي وعلم النفس ٢٧٦.
- (١٧) الجدول في إعراب القرآن الكريم ١١/١٠٩.
- (١٨) الكشاف ٢/٣٤٠.
- (١٩) من بلاغة القرآن ٢٥٣.
- (٢٠) التقابل الدلالي "دراسة نظرية تطبيقية في سورة النساء" ١٧٢.
- (٢١) الكشاف ١٧/٢ والتفسير المنير ٧/١٧٩.
- (٢٢) في ظلال القرآن ٢/١٠٦٨-١٠٦٩.
- (٢٣) المفصل في صنعة الإعراب ١٥١.
- (٢٤) جامع الدروس العربية ٣/٢٠٥.
- (٢٥) شرح المفصل ١/٨٩.
- (٢٦) أوضح المسالك ٣/٣١٧.
- (٢٧) تفسير السعدي ١/٦٢١.
- (٢٨) التكرار بين المثير والتأثير ١٣٦.
- (٢٩) من روائع القرآن - تأملات علمية وأدبية في كتاب الله عز وجل ٢٢١.
- (٣٠) الموسوعة القرآنية المتخصصة ٥٩٥.
- (٣١) التفسير النفسي للأدب ٧١.
- (٣٢) دراسات في علم النفس الأدبي ١٠٣.
- (٣٣) التفسير الحديث ٦/٣٦٩.

- (٣٤) في ظلال القرآن ١/٣٧٣.
- (٣٥) تفسير السعدي ١/١٥٩.
- (٣٦) أيسر التفاسير ١/٥٠٨-٥٠٩.
- (٣٧) صفوة التفاسير ١/٤٩٦.
- (٣٨) تفسير المراغي ٥/١٢٥ والتفسير الواضح ٤١٤.
- (٣٩) المعجم الوسيط ١/١١١.
- (٤٠) تفسير القرطبي ٩/٢٧-٢٨.
- (٤١) المحرر الوجيز ٢/١١٠.
- (٤٢) الجواهر الحسان ٢/٢٩٩.
- (٤٣) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير ٢/٧٦.
- (٤٤) تفسير المنار ٣/١٩٦.
- (٤٥) التفسير الحديث ١/٣٠٣.
- (٤٦) التفسير الوسيط ٧/٩٦.
- (٤٧) زهرة التفاسير ٨/٣٩٤٢-٣٩٤٣.
- (٤٨) الكشاف ٢/٥٢٨.
- (٤٩) زهرة التفاسير ٨/٣٩٥٩.
- (٥٠) في ظلال القرآن ٤/٢٠٨٧.
- (٥١) في ظلال القرآن ٤/٢١٩٦.
- (٥٢) الكشاف ٢/٥٥٤.
- (٥٣) التفسير الوسيط ٨/٤٠٦.
- (٥٤) في ظلال القرآن ٤/٢٢٧٢.
- (٥٥) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ٣/٣١١.
- (٥٦) الكشاف ٣/٩٨.
- (٥٧) تفسير السعدي ١/٥١٦.
- (٥٨) زهرة التفاسير ٩/٤٨١٢.
- (٥٩) موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ١/٢١٧.
- (٦٠) سيكولوجية القصة في القرآن ٥١٦.
- (٦١) الصحة النفسية، ٥٤.

فهرس المصادر والراجع

- ١- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ابن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ)، تحقيق: يوسف البقاعي، دار الفكر، بيروت.
- ٢- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، جابر بن موسى أبو بكر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، ط٥، المدينة المنورة ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
- ٣- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م.
- ٤- التفسير الحديث، محمد عزت دروزة، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ١٣٨٣ هـ.

- ٥- تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي (ت ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد اليردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، ط٣، القاهرة ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.
- ٦- تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي (ت ١٣٧١هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط١، القاهرة ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م.
- ٧- تفسير المنار = تفسير القرآن الحكيم، محمد رشيد بن علي رضا (ت ١٣٥٤هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٠م.
- ٨- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة الزحيلي، دار الفكر المعاصر، ط٢، دمشق ١٤١٨هـ.
- ٩- التفسير النفسي للأدب، عز الدين إسماعيل، دار العودة، ط٤، بيروت ١٩٨٨م.
- ١٠- التفسير الواضح، محمد محمود حجازي، دار الجيل الجديد، ط١٠، بيروت ١٤١٣هـ.
- ١١- التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد طنطاوي، دار نهضة مصر، ط١، القاهرة ١٩٩٨م.
- ١٢- التقابل الدلالي "دراسة نظرية تطبيقية في سورة النساء، نوال الحلوة، مجلة علوم اللغة، مج ٩، ع ٣، ٢٠٠٦م، القاهرة، ص ١٧٢.
- ١٣- التكرار بين المثير والتأثير، عز الدين السيد، عالم الكتب، ط٢، بيروت ١٩٨٦م.
- ١٤- التوقيف على مهمات التعاريف، زين الدين المناوي القاهري (ت ١٠٣١هـ)، عالم الكتب، ط١، القاهرة ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
- ١٥- تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن السعدي (ت ١٣٧٦هـ)، تحقيق: عبد الرحمن اللويح، مؤسسة الرسالة، ط١، بيروت ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
- ١٦- جامع الدروس العربية، مصطفى الغلاييني (ت ١٣٦٤هـ)، المكتبة العصرية، ط٢٨، صيدا ١٩٩٣م.
- ١٧- الجدول في إعراب القرآن الكريم، محمود صافي (ت ١٣٧٦هـ)، دار الرشيد ومؤسسة الإيمان، ط٤، دمشق وبيروت ١٤١٨هـ .
- ١٨- الجواهر الحسان في تفسير القرآن، عبد الرحمن الثعالبي (ت ٨٧٥هـ)، تحقيق: محمد علي معوض وعادل عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي، ط١، بيروت ١٤١٨هـ .
- ١٩- الحديث النبوي وعلم النفس، محمد نجاتي، دار الشروق، ط٢، القاهرة ٢٠٠٢م.
- ٢٠- دراسات في علم النفس الأدبي، حامد عبد القادر، المطبعة النموذجية، ط١، القاهرة ١٩٤٩م.
- ٢١- زهرة التفاسير، محمد بن أحمد المعروف بأبي زهرة (ت ١٣٩٤هـ)، دار الفكر العربي، دمشق.
- ٢٢- سيكولوجية القصة في القرآن، التهامي نقرة، الدار التونسية للتوزيع، ط٢، تونس ١٩٨٧م.
- ٢٣- شرح المفصل، يعيش بن علي بن يعيش الأسدي الموصل، (ت ٦٤٣هـ)، قدم له: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
- ٢٤- الصحاح = الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، ط٤، بيروت ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- ٢٥- الصحة النفسية، أديب الخالدي، الدار العربية، القاهرة ٢٠٠١م.
- ٢٦- صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، دار الصابوني للطباعة، ط١، القاهرة ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
- ٢٧- في ظلال القرآن، سيد قطب (ت ١٣٨٥هـ)، دار الشروق، ط١٧، بيروت والقاهرة ١٤١٢هـ.
- ٢٨- الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي، ط٣، بيروت ١٤٠٧هـ .

- ٢٩- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي(ت ٥٤٢هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت ١٤٢٢ هـ .
- ٣٠- المخصص، ابن سيده المرسى (ت ٤٥٨هـ)، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي، ط١، بيروت ١٤١٧هـ-١٩٩٦م .
- ٣١- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، أبو العباس أحمد الفاسي(ت ١٢٢٤هـ)، تحقيق: أحمد رسلان، الناشر: الدكتور حسن زكي، القاهرة ١٤١٩ هـ .
- ٣٢- معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عمر (ت ١٤٢٤هـ) وآخرون، عالم الكتب، ط١، القاهرة ٢٠٠٨م.
- ٣٣- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية القاهري، دار الدعوة، القاهرة.
- ٣٤- المفصل في صنعة الإعراب، أبو القاسم محمود بن عمرو الزمخشري(ت ٥٣٨هـ)، تحقيق: علي بو ملح، مكتبة الهلال، ط١، بيروت ١٩٩٣م.
- ٣٥- من بلاغة القرآن، أحمد البدوي (ت ١٣٨٤هـ)، نهضة مصر، القاهرة ٢٠٠٥م.
- ٣٦- من روائع القرآن - تأملات علمية وأدبية في كتاب الله عز وجل، محمد سعيد رمضان البوطي، مكتبة الفارابي، دمشق.
- ٣٧- موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، محمد راتب النابلسي، دار المكتبي ، ط٢، دمشق ٢٠٠٥م.
- ٣٨- الموسوعة القرآنية المتخصصة، مجموعة من الأساتذة والعلماء، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، مصر ٢٠٠٢م.
- ٣٩- نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، أبو الفرج عبد الرحمن بن محمد الجوزي (ت٥٩٧هـ)، تحقيق: محمد الراضي، مؤسسة الرسالة، ط١، بيروت ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤م.
- ٤٠- نمو الإنسان من مرحلة الجنين إلى مرحلة المسنين، أمال صادق وفؤاد أبو حطب، مكتبة الأنجلو المصرية، ط٤، القاهرة.
- ٤١- الوجوه والنظائر ، لأبي هلال العسكري (ت٣٩٥)، حققه وعلق عليه: محمد عثمان، مكتبة الثقافة الدينية، ط١، القاهرة ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧م.